ربيعة ابو فاضل

رئيف خوري ناقدا ادبيا

النقد (*) عند رئيف خوري ، هو الفن الاكثر تعبيرا عن شخصيته. وهو البحر الذي تصب فيه باقي الفنون . على ان كل تجزيء لشخصية رئيف الفنية ، عملية خاطئة ، تزيد الفجوات في طريقنا ، ولا تؤدي الى غاية شاملة . ان الفنان فيه يختلط بالانسان ، وكل عمل من اعماله تجد فيه رئيف الناقد ، كما تجد رئيف الانسان والكاتب والشاعر والمفكر والباحث والمناضل . ولعل « الدراسة الادبيه » هي المؤلف الذي يحتوي على الاصول النقدية التي ، من خلالها ،كتب« وهل يخفى القمر » و« ديك الجن » و « امرؤ القيس » و « الادب المسؤول » ودراسات متوزعة .. قد تكون المقالات النقدية المشردة هنا وهناك .. في مجلة « الطريق » ومجلة « المكشوف » ومجلة « الاداب » ...(1) ،هي المعبرة ، بتلقائية ، عن مفهومه للادب عامة، وللنقد خاصة .. « قيمة الادب بالنسبة اليّ في معانيه الانسانية وفنية ادائه ، فهو ، اي الادب ، يغرق الانسان في « الجميل والفائق والمشجي والمضحك » .. ويشدد على الوجه الخلقي للجمال ، اذ يثور على « لا شيئية القيم كلها في ادبنا العربي .لانه لايتناول الانسان «بعمق..». ويتساءل : « اين ادبنا الذي يؤكد مجد الانسان ويعفينا من هذه اللاشيئية والمدارات المغلقة والطرق المسدودة والنار والرماد والوجود والسراب .. » (2) غاية الصنيع الادبي ، شعرا ام نثرا « الجمال والانارة وما يلحق بالجمال والانارة من غبطة ، وتعرف الحقائق ونشوة هي حظ الروح وقسمة العقل ونصيب الذوق »(3). . اما اجادةالتكنيك الادبي فتعود الى البراعة في انتقاء اللفظ لمواضعه ، وفي سبك الجمل ، بحيث تبلغ المعنى بقوة ونصاعة ، وفي اتقان قواعد الفنون الادبية من مقالة قصيرة ، ومقطعات غزلية ، وقصص وتراجم ونقدادبي .. كذلك ابرز اهمية الممارسة ، وطول النفس في التاليف . ورفض السرعة وايثار السهولة في العمل الادبي . فالازمة هي ازمة نوع وقيمة. وقد آثر الطبعية ، وعدم الوضوح الكلي في الكتابة .. ذلك لا يعني انه مع التعمية والالتباس في الادب ، ودعا الاديب الى ان يفيد من مولدات التعبير التي تنبثق من حياة الشعب .. وحاجاته وعبقريته . على انه وجد في الادب الجيد صدقا وصوابا وحقا ، ولم يستفن اديب عن ان يكون شيئا من ناقد . فما هي النواحي التي يجب ان يكشف عنها النقد ؟..

جاء في الادب المسؤول (ص ١٦٦) « .. وكل نقد ادبي يبقى ناقصا ما لم يعن بالكشف عن ثلاث نواح خطيرة :

١ ـ ماهية المضمون الفكري الذي يشتمل عليه الادب ، او ماهية الفلسفة التي يصدر عنها الاديب في الحياة ، والموقف الذي يتخذه من الوجود والمصير الانساني .

٢ ـ باي احوال تاريخية ونظام اجتماعي اتصل هذا المضمون الفكري ..؟ وعن ذهنية اي طبقة تعبر هذه الفلسفة في الحياة او النظرة الى الوجود .

٣ ـ ما الذي نستطيع نحن ، في واقعنا ومنشودنا ان نستصفي من هذا الادب ليكون لنا غذاء روح وتوجيها في الفكر والعمل .. ويجب نقد المضمون الفكري الذي يشتمل عليه الادب نقدا فلسفيا عقائديا ، لا على ضوء البيئة التي اكتنفت نشاته فقط بل على ضوء البيئة الحاضرة في واقعها ومنشودها .

هكذا تنحصر مقاييس النقد عنده في صدق تمثيل نفسية الكاتب ، وصدق التاثير ببيئة ، وبروز شخصيته في عمله كواحد من اصحاب رسالات الخير والمحبة والرقي .. لا انفصال ، اذن ، بين فلسفة رئيف في الحياة ، ومنهجه الفكري . ومذهبه الجمالي ، ونظريته النقدية، وهو مدرسي ، رومنطيقي ، في الوقت نفسه « يحب الانطلاق من القواعد والرجوع الى القواعد » (4) . من هنا كان رئيف ثوريا ،في الكثير من معانيه ، ولم يكن ثوريا في لغويته . دعا الى « توفية كل عنصر حقه من العناية مع الملاءمة بينهما .. » (5) فالعمل الادبي يزول معناه اذا ازيل مبناه ، ولو كان المعنى هو المقصود اصلا ... كما شدد على الجرس الموسيقي في الكتابة ، على تنقية الالفاظ ـ الاصوات من

(*) فصل من رسالة قدمها الكاتب لنيل جائزة اعلن عنها « مجلس المتن الشمالي للثقافة » في لبنان ، ثم صمت المجلس ولا يزال !.. (راجع رسالةالكاتب حولالموضوع في « الاداب » العدد السادس١٩٧٤).

(١) ـ الطريق عدد ٢ (١٩٦٥)
المكشوف عدد ٢١٧ (١٩٣٩) وعدد ٤٠٨ (١٩٤٢) وعدد٣٤٦(١٩٤٢)

(٢) ـ الطريق شباط ١٩٦٥ .

(٣) ـ الادب المسؤول ص ١٣٩ .

(٤) من محاضرة القاها في جمعية العلاقات الثقافية بين لبنان والاتحاد السوفياتي (٢ اذار ١٩٦٥) .

(٥) الدراسة الادبية (ص ١٣)

الوحشة والركاكة ، ونبه الى وضع هذه الاصوات في مواقعها اللازمة ... ولا بد من التعمق بعلم اللغة وعلمي الصرف والنحو ، واكتناز الالفاظ لتسعى وراء الاديب بيسر وسهولة ... (٦) . والتلقح بآثار الكتاب والشعراء الافذاذ ضروري للابتعاد عن التكلف والكد، والحفاظ على القدرة « الفرزية » والعطائية في عالم الفن والجمال . ولم ينس طرق الاداء التي تساعد على مبنوية جمالية كالتشبيه والاستعارة والطباق الخ ... اما المعاني فيجب ان تصدر عن خيال وعقل وعاطفة ، بالاضافة الى ثقافة عميقة ومراعاة لمقتضى الحال ... والصدق . وينتهي في « دراسته .. » الى التأكيد على التلازمية بين المبنى والمعنى في العمل الادبي ... ويعتبر ان « الشعر ... اوفر حظا من النغم وسحر العبارة عدا اتقاد العاطفة وشبوب المخيلة .. » (٧) . لا بد من التركيز على قضية مهمة في هذا المجال ، وهي ان رئيفا من انصار التجديد في الشعر شكلا ومضمونا . ورايه ان القصيدة العربية الكلاسيكية كانت تلبي حاجات ودوافع نفسية معينة في المجتمعات العربية ... لكنها اصبحت عاجزة او تكاد ، في الوقت الراهن ، عن تلبية اعتمالات النفس العربية الحديثة « وعن استيطان حركة الواقع التي اصبحت من التعدد والتفاعل بحيث تتطلب ايقاعا جديدا ورؤيا جديدة ... » (٨) ويعتبر الدكتور سليمان ان رئيفا سباق في ابداء هذا الراي « نظرا لعمق ثقافته وشمولها واكتناهها للمعطيات الجديدة في الادب والفن والشعر .. » من هنا اعجب رئيف بجبران خليل جبران الذي «.. صنع نثرا شعريا افضل من الشعر المنثور .. » . النثر ، نمط رئيف ، لا يكون نقيض النظم وانما هو نقيض الوزن ، فالنثر قد يقفي كالشعر ...

في كلامه على الاسلوب ، يفضل الاسلوب الادبي على الاسلوب العلمي لان الاول « يرمي الى اثارة حب او كره او امل او يأس » (٩) . « وخير اسلوب ينهجه الادب لاداء رسالته ، انما هو الاسلوب الايحائي او الايمائي الذي لا يصرح بل يلمح ، ولا يعلن بل يهم .. » (١٣٧) . غاية الادب اعطاء الناس والاشياء معنى . تعويدهم على الفرح على حب الحياة . والدارس الادبي الحق يتسلل الى اعماق الاديب او الشاعر ، يتبعه « حيث يؤمن ، وحيث يشك ، حيث يأمل ، وحيث يقنط ، حيث ينقم وحيث يرضى ، حيث يجن وحيث يتوقر ... » (١٠) . كل فنان ينفصل عن الناس والمجتمع هو « مريض مسلول ... » . نرجح انه « اهتم كناقد في التشديد على المحتوى لانه كان يهتم اكثر ما يهتم برفع المستوى العقلي واحياء المعاني الانسانية الصحيحة ، وهي في نظرة مهمة الادب الاولى .. » (١١) . غرض النقد الادبي ، بنظره ، معرفة الاصول اللغوية والفنية التي بها يثقف الذوق فيستطيع الحكم على الاثار الادبية اقيمة هي ام رديئة .. » (١٢) هذه المعرفة تتسلح بالقوة والجمال والاصالة ، وبالقدرة على الوجازة والغربلة والتنقية والتركيز والموسيقية ... نستطيع القول ان رئيفا ارتقى ، بمفهومه للنقد ، من مستوى الحدس الشعوري ومستوى الفكر العقلاني ، الى مستوى الفكر الفلسفي . بذلك اتجه اتجاه الفكر الفلسفي ذي المنهجية الجدلية في فهم التاريخ ، والتاثير في مساره التقدمي والانساني باستمرار . فبالاضافة الى مفاهيمه النقلية التقليدية ، جمع جوهري في فكره : جوهر الفن وجوهر الفكر . وبذلك خلق نوعا من التاثر والتاثير بين الواقع وحركته وابعاده وبين الوعي لدى الانسان . لقد وضع مارون عبود « الدراسة الادبية » في مستوى « الباب المرصود » لعمر فاخوري ونقد الشعر في الادب « لنسيب عازار .. » فعلى كل طالب ومتادب ، بل على كل من يرى النقد اكلة طيبة ان يطالع هذه الكتب الثلاثة مبتدئا بكتاب رئيف ومثنيا بكتاب نسيب ومثلثا بكتاب عمر . » (١٣) .

بين الفصحى والعامية :

وقف رئيف خوري في الصراع بين الفصحى والعامية موقفا منسجما مع ميوله القومية . فالفصحى «.. لغتنا العربية الجامعة ، لا لغة الاها، والذين يدعون للعاميات هم الذين يريدون فصم عروة حيوية من عرى وحدة القومية العربية ... لا قومية بلا وحدة في اللغة .. ! » (١٤) وفي حديثه على وحدة الادب العربي ، والعوامل التي تمد هذه الوحدة بالاستمرار ، يذكر ـ بالاضافة الى التفاعل التاريخي بين الاقطار العربية والاتصال الجغرافي ، وتبادل الكتب والمجلات ـ ان اللغة العربية ، ولا سيما الفصحى ، هي الاساس في عملية الوصل، ومصيرها لا يمكن فصله عن معركة العرب والاستعمار . اما وهن الفصحى فراجع الى امرين : استمرار الاستعمار في وجوده ، وعدم وجود دولة او دول مستقلة كل الاستقلال ، قوية كل القوة وراء العربية ... (١٥) ويعطي اسسا يبني عليها تطوير العربية الفصحى :

١ ـ التماس صيغ جديدة يمكن ان تصاغ بها الجمل العربية .
٢ ـ تشجيع التسكين والتخفيف .
٣ ـ اصطفاء الجميل والمعبر والمستخف من اللفظ الذي استحدثته العامية ، والحاقه بلغة الكتابة الفصحى .
٤ ـ اخذ كل لفظ من اللغات الاجنبية ، لا مرادف له بالعربية ، وذلك بعد تحويله الى وزن عربي .
٥ ـ اعادة النظر في اساليب تدريس اللغة العربية وفي طرق تاليف معاجمها .

وبالرغم من تاثير مواقفه السياسية على موقفه من الفصحى ، وبالرغم من تعقبها لها ... بقي اسلوبه شبيها باسلوب مارون عبود ، يجمع بين العامية والفصحى .. « عبارته حاضرة ... » (١٦) يتبع جميع الطرق ليعبر عن افكاره ، لا تهمه اية لغة يستعمل : « .. ابونا في الخمسين من عمره : غزير اللحية قصير ، مندلق البطن ، ثخين الرقبة ، في يده كنيسة الطائفة والمدرسة . وحيد ليس له عائلة البتة. انما له اعداء غير قلائل يلاحظون صحبته مع الارامل . ويزعمون عنه المزاعم في كل مجلس ، حتى امام تلاميذه . فاذا فوتح في ذلك قال : السنتهم طويلة ... الله يقطع اعمارهم .. الخ .. » (١٧) لغة ماشية، بسيطة ـ تحمل عصا في يمينها، وتفتش عن طفولتها في اليد الثانية...! ان اي انسان عادي ، يستطيع ان يبسط الفصحى .. ويفصح العامية .. ؟؟ قد تكون ممارساته الصحفية قادته الى هذا المنعرج ، لكنه في الواقع يؤمن بنقطة لقاء يهيئها التاريخ ، تجتمع فيها الفصحى والعامية على مائدة واحدة الى الابد .. ؟! .

لفتات الى بعض اعماله النقدية

وقف رئيف من التاريخ موقفا نقديا ، فالتاريخ « ممن يأخذهم السهو ، ومن يتأثرون بشتى المؤثرات فيسيئون احيانا تقدير الاشياء والاشخاص » . (١٨) يثور على التاريخ كيف « يحتفظ بالملوك ومن يرتبط

---

(٦) م.ن. ص ٣١ ـ ٣٣ .
(٧) م.ن. ص ٨٢ .
(٨) خلاصة حديث مع الدكتور ميشال سليمان .
(٩) الدراسة الادبية ص (١٣٤) .
(١٠) مجلة المكشوف . عدد ٤١٨ ص ١١ (١٩٤٥)
(١١) خلاصة حديث مع الاستاذ عبد اللطيف شراره ١١ اب ١٩٧٣ .
(١٢) الدراسة الادبية . ص ٥
(١٣) دمقس وارجوان ص ٢٢٩ .
(١٤) الادب المسؤول ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .
(١٥) م.ن.ص ٢٠٠
(١٦) الكلمة لنظير مارون عبود .
(١٧) رئيف خوري : سيرته ـ ادبه ـ ص ١٩٣ .
(١٨) راجع مقدمة كتابه « ديك الجن » دار المكشوف ١٩٤٨ طبعة اولى .

بهم من كتاب وشعراء يتمسحون بالاعشاب ، ويترك امرءا استهواه الشعر واستبد به الحب ، غير مأخوذ بما يؤخذ به الشعراء ، من حب الكسب او سعة الشهرة في العاصمه ، او علو الرتبة في البلاط ، ولم يكن ليقول الشعر الا مدفوعا بخوالج النفس ... ((١٩) فديك الجن « شاعر عاطفة وربيب فن .. هاج به الشعر فوقف بالعراء يناجي امرأته الحبيبة المظاومة . يحبها ويبكيها ..! » ويسأل التاريخ، صاحب الجبهة المخططة بأثلام عميقة : لماذا اهمل الحديث عن ابوي الشاعر ؟ وعن ثقافته وعن العوامل التي جعلته يعيش مسرفا في لهوه..؟ وتتكاثف الاسئلة هل ؟... وفي اي ..؟ وهل .. ثم هل ، وكيف الخ : (ص ١٠) .

في كتابه « امرؤ القيس » ينقد . يحلل . يفرق بين التبشير والنقد . يرجح خبرا على اخر . يسأل الدكتور طه حسين « ان يظهر لنا السبب الذي يكون حدا الرواة الى اصطناع هذا الشعر .. ؟ » . اضف انه ذهب بعيدا في نقد شعر امرىء القيس ، الشاعر الذي « جاء غزله مترشحا بالشهوة ، كظيظا بالتصاوير الحسية ، يبلغ بعضها اقصى درجات الفحش ، مزحوما بالالفاظ المادية ضخمة حشو الفن والاذن » (٢٠) .

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل ..
تصدوتبدي عن اسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

يوافق ابن عبد ربه ، حين عد امرأ القيس من اصحاب النفس البهيمية . « وقد اشتق امرؤ القيس اسلوبا في الغزل ، هو قصصي اخباري كثر ما يأتي فيه على طريقة توصله الى عشيقته ، وتبادل الاحاديث بينهما ، وتلذذه بها في طمأنينة وفراغ بال ... » (٢١) .

وبيضة خور لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

جاء اسلوب رئيف النقدي دقيقا ، ساخرا ، متهكما يدعم افكاره بكلمات « ماشية » ، يفتش عن الطريق الظريف . فالقارىء يذهب معه في « نزهة مريحة الاعصاب تجدد الهمة للكفاح في سبيل بناء العالم المفرح ... » (٢٢) يجمع في دراسته عن عمر بن ابي ربيعة مناهج النقد الثلاثة ... الفني ، والتاريخي والنفسي . يصور العصر .. دنيا ارستقراطية ضاحكة ، انوثة مرحة ، نساء قريش منعمات مترفات. يجمع في نقده الاقاصيص والمعلومات . يتجرأ ، يدخل نفسه بسرعة ... شيق احايين كثيرة . دفاق ، ينحني كالسنبلة الحبلى على ارض الادب والنقد . يفاجئك ، بينما لا تنتظر المفاجاة . يمزج الالوان بالظلال ، النور بالظلام ، ينقل الى حياة عمر « فكلها ستكون ابتساما » ، يحدثنا، على مهل وبسهولة ، كيف شب ، يتعرض له الحسان ، يحرص على ان يكن موضوع شعره . يكدس رئيف الاخبار حول الشاعر ، حتى جاءت دراسته جمعا غنيا للتاريخ الادبي والدراسة والنقد ... كل ذلك باسلوب رومنطيقي ، وقد تجلت قدرته على اعطاء كل لوحة الوان الاساليب التي تنسجم مع بعضها البعض ، لتؤدي عملا مقبولا لدى القارىء ، لا يمجه الذوق ، ولا تياس منه العاطفة ..؟ ماخذنا الوحيد على هذه الدراسة ، ان رئيفا لم يدرس بعمق شعر ابن ابيربيعة . لم ينقده كفاية ، انما ردد ما قاله النقاد فيهذا الموضوع باسلوبه الخاص ، الادبي الذي قلما نجده في آثاره الاخرى ، الشواهد قليلة ، يقول عن شعر عمر « انه سلس ، رقيق ، ينحط حينا الى الهلهلة ولا يتنزه عن الاسفاف .. » ومن يقرأ شعره ، ينبغي ان يكون ، برأيه ، من متذوقي السذاجة والارتجال وقلة التصنع واللين المتناهي .. (٢٣) .

« وعمر في غزله واحد الانماط والقوالب ، تستغني بالقليل من شعره عن غزله » . ثم يظهر كيف خالف عمر العروض ، وكيف حشا وتعكز وتوكا ورقع في الابيات التالية :

فمضى نحوها بعقل وحزم واحتيال ، ونصح حب ، فلما
جاءهاقال:ماالذيكانبعدي! حدثيني ، فقد تحملت اثما
احرمت الذي ادعاه هواكم ويرى لحمه فلم يبق لحما ...
(ص ١٢٦)

الشاعر ذو روح متحركة « يعوزها العمق والتنوع » . ديوانه وثيقة تاريخية شاهدة بعصره الى كونه تحفة فنية . والصور في شعر عمر ، ادق واكثر تفصيلا منها في شعر امرىء القيس . ان صاحب الرائية ـ البدعة ، « التي لا نظير لها فيما نعلم من ادبنا القديم ... يترك في اجيال الشعراء من بعده ملامح من فنه وشخصيته لا يخطىء هويتها الناقدون ... » (ص ١٥٥) . وبالرغم من ان احاطة رئيف النقدية بشعر عمر قصيرة وقليلة ، تبقى مفيدة « لما فيها من النظرات البعيدة والذوق الحسن والحكم الرزين » (٢٤) . « ولنسم كتاب وهل يخفى القمر قصة او ما يسميه بالفرنجية Histoire Romancée ... » (٢٥) . فيه قصة عصر انغمس في حياة النعيم ، وقصة شاعر اشعل النار في عواطف الشعراء المحبين الى الابد ...

كان هم رئيف في كل ما نقد ، ان يظهر الزاوية التي حاول الشعراء او الكتاب من خلالها ، الدنو باللغة من لغة الشعب . وقد رأى ان في طليعة هؤلاء ابا نواس الذي « فتح باب النظم على مجزوءات لم يستعملها الشعراء قبله ، الا انها توجب الاطلاع على جملة الشعر العربي الذي صنع قبله ومقابلة اوزانه الى الاوزان النواسية . »(٢٦).

ويعجبه من حيث تجديده في اللفظ الشعري وفي بعض الصيغ والتراكيب ، ومن حيث عدوله الى صياغة الكلام بالشكل الذي يقرب به من خطاب العوام ..

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب
ان بكى يحق له ليس ما به لعب

هذه البساطة ، برأي رئيف ، ظاهرة من ظواهر التجديد التي اقتضاها العصر .لقد اثار ابو نواس المعاني المدفونة « لكنه لم يعلمنا ، في الواقع ، الا الاستخفاف بكل شيء حتى بالحياة نفسها ... عربدة وقهقهة وترف .. فهو الفنان المبدع لا الفيلسوف المفكر العميق .. » لم يكتف رئيف بالابداع الفني ، انما طلب من الشاعر ان يحرك في قارئه المعاني الانسانية والاخلاقية ... وحرص رئيف على الاهتمام بالمبنى والمعنى معا ، يظهر في نقده للنابغة ، قال : « والنابغة عبد من عبيد الشعر .. ذلك انه كان يعن يصقل شعره وتخليصه من السقط والردىء، فيختار له اللفظ الجزل والنظم المحكم وينسج للمعنى حلة متينة وشفافة معا لا تترك سبيلا لغموض او ابهام .. » (٢٧) ويظهر ذلك في نقده لمارون عبود ، قال : « انطلق بالنقد من اطار القوالب الجامدة الى عالم الذوق المرهف والانطباعية العاطفية الحية والنكتة الحلوة ... المعلم مارون ما كان يؤمن بالادب محض شكل ، وانما كان يؤمن به مضمونا فكريا انسانيا تحرريا ... » (٢٨) وهكذا كان المعلم والناقد رئيف خوري ، صاحب نقد دافىء متفائل يشعر بجمال الحياة وبقيمة الانسان

(١٩) م.ن.
(٢٠) امرؤ القيس مطبعة صادر ١٩٤٣ ص ٥٩ ـ ٦٠ .
(٢١) امرؤ القيس ص ٦١ ـ ٦٢ .
(٢٢) مقدمة كتاب « وهل يخفى القمر » دار المكشوف طبعة ثانية ك٢ ١٩٦٧ ص ١١ .
(٢٣) م.ن. ص ١١٧ .
(٢٤) غلاف « وهل يخفى القمر » خليل مردم بك .
(٢٥) م.ن. الياس ابو شبكة .
(٢٦) من دراسة مخطوطة له خاصة بابي نواس .
(٢٧) التعريف في الادب العربي ، ج ١ ، ص ١٠٢ .
(٢٨) مجلة الطريق عدد ٦ حزيران ، ١٩٦٣ .

... ميزته انه كان ناقدا لنفسه ولو عجن مسرعا ، وخبز عجينه فطيرا بعض الاحيان ... يقول عن مایاكوفسكي الشاعر : « كان مجددا في العبارة والتقنية الشعرية ، ادخل على النظم عامي الكلام والمخاطبات اليومية ، وطور النغم الشعري باعتماد نسق جديد لتقسيم التفاعيل وترتيب القوافي » (٢٩) كانت حركة الاثر الادبي ، في مفهوم رئيف ، هي حركة الوجود بقدر ما هي حركة الفكر ..فهو يرى مثلافي« الخندق الغميق » ، رواية سهيل ادريس ، تصويرا قصديا حافلا بالحركةوالحياة وباللمسات الانسانية ... اما « اصابعنا التي تحترق » فتعالج قضية رجال القلم في هذا البلد ، وهي قطعة من حياة يعمد كاتبها الى تصويرها .. » ، عبارته « فيها اسلم وادسم » .. ويبلغ هنا الروائي مرتبة كبار الموهوبين في الفن القصصي سياقا وحوارا وتحليلا وتصويرا ... » (٣٠) . ساعده على ذلك صدقه وصراحته وقوته . ولو حمل رئيف الهموم الانسانية واثنى على الاثار التي تثور وتنتقد ، تحرق وتحترق ، تمارس العنف في معانيها ، فانه لم يتوقف عن عزف نغمة التفاؤل والثقة بالحياة . ففي حديثه عن « الريحاني الاديب الفاعل » صور كيف نقر اديب الفريكه من « الادب الباكي . الادب اليومي .الادب النعاق . الادب النقاق ... » (٣١) اضف ان رئيفا مدرسة في الشجاعة والصراحة الفكرية والغضب والسخر . يستشهد باقوال الريحاني المعبرة عن طموحه هذا : ان من يستعبد الانسان لا يستحق الحرية ... » او « اود ان اعيش دون ان ابغض احدا . واتقدم دون ان ادوس من هم دوني او احسد من هم فوقي . » (٣٢) وهكذا كان الريحاني مع حزب الحق والخير والجمال ، التزامه « اختياري » ارادي « متسامح دون ان يكون فاترا ومتميعا . » نقده للريحاني يعبر فعلا عن شخصيته هو ... فقد كان كالريحاني في التزامه : التزامه حر اختياري . هو فعل معرفة . وفعل مستقل . لكن رئيفا احسن الوقوف في الصفوف المنظمة اكثر من الريحاني ومارون عبود وكثيرين من الادباء ... وقد تنكر رئيف لتصوير الشخصيات بشذوذية كما فعل دوستويوفسكي ، كذلك رفض ابقاء المعاني الانسانية مخنوقة بالمآسي والصور الدامية ويظهر ذلك في نقده « ميثاق الموت » (٣٣) لتوفيق يوسف عواد » . « لا تزال تعوزه رؤيا مستقبل جميل مجيد تضمحل منه المآسي ولا يزال يعوزه تخطيط الطريق لتحقيق هذه الرؤيا . » هذه الرؤيا تجسد الممكنات وهي معيار الابداع والتجاوز ... انها الدليل على ان لرئيف طاقة للخروج على الماضي وطاقة احتضان المستقبل . له صوته الخاص . نقده فعال ، ملزم يسري عبر سلوكه ومواقفه وافكاره ومشاعره في الحياة والواقع . لم يبن ابراجا خارج ايام الناس . ثبت على الارض . كان ضد الغموض ـ السطح ، ضد الابهام ـ الكهف المغلق جمع في نقده بين الجدلية الماركسية والجمالية العربية . كان في اعماله يطمح باستمرار الى الابداع ـ الشبح . رئيف خوري « مفكر » انساني ثائر رائد ... » كما دعاه الدكتور ميشال سليمان . استمد ادبه من شخصيته ونقده من روحهالساخرة ..المبتسمة.والمرجعانالادب العظيم لا يكون بلا شخصية عظيمة تبدعه ، ان القاعدة الاقرب الى فهم رئيف خوري ، هي ان ينظر الدارس الى من قال قبل ان ينظر الى ما قيل .

عمل نقدي واحد يكشف رئيف خوري امامنا قلبا وقالبا . انه في عمق افكاره يتخلى عن الذات ليربطها بالموضوع ـ المجتمع والسياسة والشعب .

بيروت

---

(٢٩) الطريق عدد (٧) ١٩٦٣ .
(٣٠) الادب المسؤول ص ٢٠٨ نقد رواية سهيل ادريس .
(٣١) الكلمات لرئيف م.ن. ص ٢٢٢ .
(٣٢) م.ن.ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .
(٣٣) مجلة المكشوف . عدد ١٠٦ تموز ١٩٣٧ .

قالوا عن كتاب

حُبّ

تاليف غادة السمان

بعيدا عن الثرثرة الرومنطقية ، والرسائل التقليدية ، تشارف غادة السمان ، بحساسية الانثى وموهبة الفنان في لحظات حميمة ، عالم الشعر تاركة على جدار القلب الانساني آثار بصماتها ....
عصام محفوظ ـ جريدة النهار

« حب » ، هو حكاية مسيرة طويلة عرفت كيف تتجاوز نفسها دائما .
جورج الراسي ـ مجلة البلاغ

سنبقى نتلهف الى مرثيات غاده السمان الحميمة، الماضية والمقبلة .
ظافر تميم ـ لسان الحال

لا تكتفي غاده السمان بالتعبير عن الانسياق المطلق مع نوازع الجسد بل تحاول التبشير بما يمكن ان نسميه بعبادة الجنس !
رشيد ياسين ـ المحرر

اذا كان الشعر يسكن اعمق اشياء الحياة (الموت، الالم ، الحب ، التضحية) فان غاده السمان الكاتبة والقاصة ، هي شاعرة قبل كل شيء !..
نهاد سلامة ـ الصفاء

الحب الذي تحكي عنه غاده السمان اساسه الحرية ، وكردة فعل عن كل كتب حب المراة العربية من الف سنة ، ارادت غاده السمان ان تحب عنهن جميعا .
هدى الحسيني ـ الانوار

تذهب غاده دوما الى اعماق الاشياء ، وتستطيع ان تكون غنائية ، او ساخرة كما تستطيع ان تستحضر برقة الحب الطفولي ، وان تصرح بالحقيقة بجراة واخلاص .
ايرين موصللي ـ الاوريان لوجور

منشورات دار الآداب